The Idea of Arab Unity between Ideology and Political Reality 1950–1970: A Historical Study

فكرة الوحدة العربية بين الأيديولوجيا والو اقع السياسي 1950-1970 دراسة تاريخية

م. د حسين طالب مهدي السنجري

Dr. Hussein Talib Mahdi Al-Sinjari

وزارة التربية /المديرية العامة لتربية ذي قار

Ministry of Education / General Directorate of Education of Dhi Qar

Abu.marahb98@gmail.com

07806264327

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل فكرة الوحدة العربية بوصفها إحدى أبرز القضايا الفكرية والسياسية في التاريخ العربي المعاصر خلال المدة الممتدة بين عامي 1950-1970. ويهدف إلى الكشف عن مدى التباين بين الطرح الأيديولوجي القومي العربي الذي بشّر بالوحدة بوصفها مصيرًا تاريخيًا للأمة، وبين الواقع السياسي العربي الذي اتسم بالتجزئة والتباينات القُطرية. تعتمد الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على تتبّع تطور الفكرة في سياقها الزمني، وتحليل العوامل الداخلية والخارجية التي أثّرت في مسارها. وقد أظهرت النتائج أنّ التجارب الوحدوية، وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة 1958-1961، واجهت تحديات بنيوية حالت دون استمراريتها، من أبرزها تضارب المصالح القُطرية، وتعارض الأيديولوجيا القومية مع متطلبات الواقع السياسي والإقليمي. وتخلص الدراسة إلى أنّ فكرة الوحدة العربية بقيت أقرب إلى المشروع الأيديولوجي منها إلى الواقع العملي، غير أنّها أسهمت في ترسيخ الوعي القومي وفي بلورة خطاب سياسي عربي ما زالت آثاره ممتدة إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الوحدة، القومية، الايديولوجيا، الجمهورية.

Abstract:

This research examines the idea of Arab unity as one of the most significant intellectual and political issues in modern Arab history during the period 1950–1970. It aims to explore the discrepancy between the Arab nationalist ideological discourse, which promoted unity as the historical destiny of the Arab nation, and the political reality characterized by fragmentation and

competing state interests. The study adopts a historical-analytical methodology, tracing the evolution of the concept within its chronological context and analyzing the internal and external factors that influenced its trajectory. The findings reveal that unity experiments, notably the United Arab Republic (1958–1961), encountered structural challenges that prevented their sustainability, including conflicting national agendas and the inconsistency between ideology and political realities. The research concludes that the idea of Arab unity remained more ideological than practical, yet it significantly contributed to shaping Arab national consciousness and the broader discourse of Arab political identity.

Keywords: Thought, Unity, Nationalism, Ideology, Republic.

المقدمة:

تُعَدّ فكرة الوحدة العربية من أبرز القضايا الفكرية والسياسية التي استحوذت على اهتمام المفكرين والقادة والجماهير في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، إذ مثّلت في جوهرها تعبيرًا عن الوعي القومي الجمعي، وسعيًا لإعادة بناء الكيان العربي على أسس من التضامن والهوية المشتركة بعد قرون من التفكك والتجزئة التي خلفها الاستعمار والتنافس الدولي على المنطقة. لقد شكّلت هذه الفكرة حلمًا يراود النخب السياسية والمثقفين العرب منذ بدايات القرن العشرين، غير أنّها بلغت أوج حضورها في منتصف القرن ذاته، حين ارتبطت بموجة التحرر الوطني وبصعود الأنظمة ذات التوجه القومي التي رأت في الوحدة طريقًا للخلاص من الإرث الاستعماري وتحقيق النهضة الشاملة. كما جاءت هذه الفكرة ردًا على التحولات الدولية والإقليمية التي فرضت على العالم العربي تحديات وجودية، فكانت الوحدة بالنسبة إلى الكثيرين مشروعًا للتحرر والتنمية والسيادة في مواجهة التبعية والانقسام.

في ضوء ذلك، أصبحت الوحدة العربية محورًا مركزيًا في الخطاب السياسي والفكري والإعلامي، وأحد أهم الأسس التي قامت عليها الحركات القومية التي سعت إلى ترجمة الشعارات إلى واقع سياسي جديد، لكن ما بين الطموح الأيديولوجي والممارسة السياسية ظلّت مسافة واسعة تستحق التأمل والتحليل التاريخي الدقيق.

تنبع أهمية الموضوع من كونه يقف عند تقاطع الفكر والسياسة، إذ يجمع بين البعد النظري الأيديولوجي الذي تمثّل في أطروحات المفكرين القوميين، والبعد العملي الذي تجسّد في المحاولات الملموسة لإقامة صيغ وحدوية بين الدول العربية. كما أن دراسة هذه الفكرة في المدة (1950–1970) تتيح فهم مرحلة مفصلية من التاريخ العربي الحديث، شهدت تفاعلات سياسية واجتماعية كثيفة تمثلت في ثورات وحركات تحرر قومي، وصعود قوى جديدة على الساحة الإقليمية، وتبدّل موازين القوى في العالم. ومن هنا فإنّ تناول هذا الموضوع لا

يهدف فقط إلى إعادة قراءة الماضي، بل إلى تحليل البنية الفكرية والسياسية التي حكمت مسار المشروع القومي العربي، واستكشاف العوامل التي أدّت إلى تعثره أو انحساره رغم الزخم الشعبي الذي رافقه في بداياته.

تتمحور إشكالية البحث حول التساؤل الرئيس الآتي: إلى أي مدى تمكّنت الأيديولوجيا القومية العربية خلال المدة (1950–1970) من تحويل فكرة الوحدة العربية إلى واقع سياسي ملموس، وما العوامل التي حالت دون تحقيق هذا المشروع رغم اتساع قاعدته الفكرية والشعبية؟

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية، أهمها:

1- ما الجذور الفكرية والسياسية التي استندت إليها فكرة الوحدة العربية في الخطاب القومي العربي؟
2- ما الظروف الموضوعية، الداخلية منها والخارجية، التي أثّرت في مسار التجارب الوحدوية العربية؟
3- كيف يمكن تفسير التناقض بين الخطاب الأيديولوجي الذي دعا إلى الوحدة كضرورة تاريخية، والواقع السياسي الذي رسّخ حدود الدولة القُطرية واستقلالها المنفصل؟
4- ماهي النتائج التي خلّفها هذا التعارض في تشكيل الوعي القومي العربي في العقود اللاحقة؟

و بناء على هذه التساؤلات فإن الدراسة تفترض ما يلي :

الفرضية الاولى : إن الجذور الفكرية والسياسية لفكرة الوحدة العربية في الخطاب القومي العربي كانت نتاجًا لتفاعل عوامل داخلية وخارجية، حيث ساهمت الأيديولوجيا القومية في تعزيز فكرة الوحدة العربية، إلا أن الظروف الموضوعية (الاختلافات السياسية والاقتصادية بين الدول العربية والتدخلات الخارجية) حالت دون تطبيق هذه الفكرة بشكل عملي.

الفرضية الثانية : رغم الدعوة الأيديولوجية القوية إلى الوحدة كضرورة تاريخية، فإن التناقض بين الخطاب القومي والواقع السياسي الذي يعزز الانقسام بين الدول العربية قد أسهم في تراجع فكرة الوحدة، مما شكل تحديات في بناء وعي قومي مستدام في العقود اللاحقة .

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي المقارن، بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الفكرية والسياسية في سياقها الزمني. يقوم هذا المنهج على تتبّع نشأة الفكرة وتطورها، وتحليل العلاقات السببية بين الأحداث والمواقف، ومقارنة التجارب الوحدوية المختلفة في ضوء العوامل المؤثرة فيها. كما يتضمن التحليل النقدي للخطابات السياسية والأيديولوجية التي صاغت مفهوم الوحدة العربية، واستقراء المواقف الرسمية والشعبية تجاهها، بما يسمح بفهم أعمق للجدلية القائمة بين الفكر والممارسة.

تحدَّدت حدود البحث زمانيًا بالمدة الواقعة بين عامي 1950 -1970، نظرًا لأنها تمثل المرحلة التي تبلورت فيها الفكرة القومية بأوضح صورها، وشهدت تأسيس أبرز المشاريع الوحدوية وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة، فضلًا عن محاولات الوحدة الثلاثية والاتحاد العربي. أما المجال المكاني فيشمل العالم العربي بأقاليمه

المختلفة، مع تركيز خاص على التجارب المركزية في مصر وسوريا والعراق، لكونها أبرز الساحات التي تفاعلت فيها الأيديولوجيا القومية مع الواقع السياسي بشكل مباشر.

قسم البحث إلى مباحث رئيسة، يتناول أولها الإطار الفكري والمفاهيمي للوحدة العربية من حيث تطورها التاريخي والمضمون الأيديولوجي الذي اكتسبته في الفكر القومي. أما المبحث الثاني بين الدراسة التاريخية لفكرة الوحدة عالج التحولات السياسية والاجتماعية بين عامي 1950 -1970 التي مهّدت لصعود المشاريع الوحدوية وأثرت في مسارها. ويُكرّس المبحث الثالث لدراسة العوامل التي ادت الى تراجع فكرة الوحدة بين عامي 1961 - 1970. وفي الختام، تعرض الدراسة أهم النتائج والاستنتاجات التي توضّح طبيعة العلاقة بين الأيديولوجيا القومية والواقع السياسي، ومدى تأثيرها في تشكيل الوعي العربي الحديث.

المبحث الاول : الاطار النظري و المفاهيمي للوحدة العربية :

1-مفهوم الوحدة العربية :

أ-التعريف اللغوي والفكري:

الوحدة العربية كمفهوم تدمج فيه اللغة والتاريخ والثقافة والجغرافيا باعتبار أن هذه العناصر المشتركة تشكّل أساس الانتماء القومي. اللغة العربية تُعدّ العنصر الرابع بعد البيئة الجغرافية المشتركة والتاريخ المشترك والعادات الثقافية، وهي التي تُعزّز الإحساس بالانتماء والتضامن [1]. إضافة إلى اللغة، يُعتبر التاريخ المشترك – بمعناه الواسع بما في ذلك الفترات الإسلامية والعهود الإسلامية المختلفة، وجزء من التأثر بالاستعمار، والصراع ضد الهيمنة الأجنبية – عنصرًا أساسيًا في تصور الوحدة. التاريخ يُستخدم كمخزون رمزي يعبأ في الخطاب السياسي ليكون ركيزة للذاكرة المشتركة التي تربط بين الشعوب العربية [2] .

ب- الجذور الفكرية التاريخية :

الجذور الفكرية لوحدة العرب تعود إلى نهاية العهد العثماني وبداية القرن العشرين، حيث ظهرت ردود فعل على تهميش الهوية العربية والتهميش الثقافي ضمن الامبراطورية العثمانية. كان مفكرون مثل ساطع الحصري يُلِحُّون على أن الهوية العربية كانت موجودة وإن كانت غائبة الوعي – أي أن الانتماء القومي العربي سبَق تكوين الدولة القطرية[3] .

في فكر ميشيل عفلق، الوحدة هي هدف نهائي لا يُمكن تجاهله، وهي عنصر أساسي في شعار "وحدة، حرية، اشتراكية" الذي ينضح برغبة في رأب الصدع بين الجماعات العربية وتحقيق كيان سياسي موحَّد، يتجاوز الحدود الاستعمارية المفروضة[4] .

ج – العناصر و المكونات الاساسية للوحدة العربية :

من خلال فحص المفكرين والكتابات القومية العربية، يمكن استخلاص عدة مكوّنات تشكل مفهوم الوحدة:

1- اللغة المشتركة: اللغة العربية الفصحى تاريخياً ولغوية، أو بطرق المدرسة والخطاب الرسمي، هي أداة أساسية للتواصل والهوية[5].

2- التاريخ المشترك والذاكرة الجماعية: تاريخ موحَّد، موروث ثقافي، أحداث وأزمات مشتركة (الاستعمار، النكبة، حركات التحرر) تُستخدم لتأسيس شعور بالكتلة القومية [6].

3- العادات والتقاليد الثقافية المشتركة: : الأدب، الشعر، القيم الأخلاقية، الرموز الدينية والتاريخية، الاحتفالات المشتركة، الثقافة الشعبية.

4- الوعي القومي والنخب الفكرية والسياسية: المفكرون، المثقفون، الإعلام، الثقافة الرسمية، مؤسسات التعليم، كلها تُشكّل الخطاب القومي وتنشره[7].

5- العوامل الموضوعية: مثل التحديات الاستعمارية، النزعة إلى الاستقلال، الضغوط الدولية (النفوذ البريطاني، الفرنسي)، البنية الاقتصادية والاجتماعية التي تدفع إلى التعاون او الوحدة [8].

2-معنى الايديولوجيا :

أ- التعريف النظري العام :

الأيديولوجيا هي منظومة من الأفكار والقيم والمعتقدات التي تُوجّه تفسير الجماعة للعالم، تُشكّل هوية الجماعة وتُقدّم خطابًا مشروعًا للواقع، وترسم تصوّرات مستقبلية، وتُستخدم كأداة للفعل السياسي والتنظيم الاجتماعي. إنها ليست مجرد نظرية، بل تجمع بين البُعدين الرمزي والمادي. تشمل عناصر مثل القيم (ما هو عادل، ما هو مظلوم)، الشعارات، الرموز، الخطاب، الممارسات السياسية، الهيكل التنظيمي، سياسة التعليم، الإعلام، التربية، كلها تساهم في تثبيت الأيديولوجيا وإنعاشها[9].

ب- الأيديولوجيا في السياق القومي العربي:

الأيديولوجيا القومية كانت دعوى لتجسيد وحدة العرب، وتحقيق السيادة، التحرر من الاستعمار، وتأكيد الهوية العربية الجامعة. عفلق ومن معه رأوا أن الوحدة ليست فقط مسألة سياسية بحتة، بل هي قضية كونية ثقافية، ذات بعد أخلاقي، وبُعد روحي وانتمائي [10].

بينما ركز الحصري في مقالاته و محاضراته على الأيديولوجيا بوصفها مشغولة بشؤون اللغة والتاريخ والهوية الثقافية، لكنه يُقرّ بأن الأيديولوجيا وحدها لا تكفي، فهي تحتاج إلى بنية مؤسساتية وسياسية تُحوّل الطموح إلى واقع[11] . بينما جاءت رؤية زكي الأرسوزي الذي يعد من المفكرين الذين شاركوا في تأسيس البعث بانها تجمع بين الجانب الثقافي الفلسفي والجانب العملي السياسي، بحيث يرى أن الثقافة والتربية والنظام السياسي لا يمكن انفصالهما عند الحديث عن القومية والوحدة[12] .

ج - الأيديولوجيا والقوة السياسية والتطبيق :

الأيديولوجيا تحتاج إلى قوة سياسية، قيادة مركزية، زعامة قوية، وهيئات تنفيذية لتتحوّل من خطاب إلى فعل. في الحالة العربية، التجارب الوحدوية (مثل الجمهورية العربية المتحدة) تُبيّن أن الأيديولوجيا القومية كانت دافعًا قويًا، لكنها اصطدمت بالواقع السياسي، بالاختلافات القُطرية، بالمصالح الذاتية، والصراعات المحلية والإقليمية، والضغوط الدولية[13], استُخدمت الأيديولوجيا القومية لأغراض شرعية داخل الدولة: لتبرير السلطة، للتعبئة الجماهيرية، لتربية المواطن على الهوية العربية، ولإعادة توزيع الرموز، الاعترافات القانونية، التعليم الرسمي، الإعلام[14] .

3- الفرق بين الفكر القومي والممارسة السياسية :

الفرق بين الفكرة – أي الفكر القومي أو الأيديولوجيا القومية – والممارسة السياسية هو التباين بين ما يُقال ويوعد به و ما يُنجز على الأرض فعليًا. الفكر القومي غالبًا ما يكون طموحًا مثاليًا، وتصورًا لأمة موحدة، بينما الممارسة السياسية تقابلها قيودٌ بنيوية ومصالح محلية، وصراعات داخلية، وإملاءات خارجية، وإشكاليات في القيادات والتنظيم[15].

أ- أمثلة على التباين في التاريخ العربي: كانت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة 1958 -1961) وقد سبقتها حملة ضخمة من الأيديولوجيا القومية، لكن الممارسة أظهرت أن المساواة في السلطة والتنفيذ لم تكن متوفّرة، وأن الزعامة المصرية في الواقع فرضت نفسها، مما أثار اعتراضات سورية، وأدى إلى الانفصال . كذلك مشاريع الوحدة الثلاثية التي طرحت بين مصر والسودان وليبيا أو العراق وسوريا، غالبًا ما واجهت تحديات في التنسيق والتحكم، واختلاف المصالح القطرية وقيود البنية التحتية المؤسسية والتنظيمية[16] .

ب- العوامل التي تساهم في الفجوة بين الفكر و الممارسة :

1- المصلحة القطرية والسيادة السياسية : كل دولة تريد الحفاظ على سيادتها وموقعها الاستراتيجي والاقتصادي، وهذا قد يتعارض مع شروط الوحدة التي تتطلب تخلّياً جزئيًا عن بعض الحكم الذاتي.

2- الظروف الداخلية (الاقتصادية , الاجتماعية, الثقافية): التفاوت في التنمية، الاختلاف الاجتماعي، الأدوار القُطرية المختلفة، اختلاف التركيبة الدينية والطائفية أو الأثنية داخل كل قطر.

3- الضغوط الدولية و الاقليمية : النفوذ الاستعماري السابق، الضغوط من القوى الكبرى، الصراعات الإقليمية، السياسات الدولية التي تستفيد من التجزئة.

4- القوة التنظيمية و المؤسسية : نقص المؤسسات المشتركة، التفاوت في القدرات الإدارية والموارد، ضعف التنسيق السياسي، الخلافات الشخصية بين القادة[17].

ج- رؤية مفكرين بخصوص هذا التباين:

ساطع الحصري اعترف بأن اللغة والتاريخ ووجود الشعور القومي وحدها لا يكفيان لتحقيق الوحدة، بل يجب توفر الواجبات السياسية والتنظيمية، والإرادة القوية من الدولة القُطرية والمجتمع. الحصري يقول إن القومية لا تنتصر فقط بقوة الزمن أو الانتماء التاريخي، بل بحركة مواجهة للواقع، حركة بناء للوعي، وبممارسات ملموسة[18] .

أما عفلق فرأى أن الفكر القومي يجب أن يتخطى الحدود النظرية حتى يصبح مشروعًا ثوريًا، لكن هذا المشروع لم يكن قادرًا على الصمود أمام تعقيد الواقع السياسي، بما في ذلك التدخُّل الأجنبي، الخلافات القُطرية، مواجهة الاستبداد الداخلي، وهشاشة المؤسسات[19] .

4-استعراض أهم الاتجاهات الفكرية والسياسية الداعمة لفكرة الوحدة:

1- ساطع الحصري : يُعدّ الحصري من أبرز المفكرين القوميين الذين أسّسوا لبنية فكرية تُعطي أهمية للغة والتاريخ والوعي. في كتابه أو محاضراته «محاضرات في نشوء فكرة القومية»، يؤكّد أن اللغة والتاريخ هما العنصران الأصليان اللذان يشكّلان الأمة، ويجعل الشعور القومي عملًا ذاتيًّا ينبع من الإرث الثقافي والتاريخي وقد دعا كذلك إلى التربية الوطنية والتعليم كوسائل مركزية في بناء الهوية القومية[20] .

2- ميشيل عفلق : مؤسس البعث، وقد صاغ في فكره رؤية للوحدة العربية لا تكتفي بأن تكون رمزًا أو شعورًا فحسب، بل مشروعًا ثوريًا يتطلب تنظيمًا وممارسة سياسية، ويضع شعار "الوحدة، الحرية، الاشتراكية". يرى أن الوحدة ليست مجرد اتحاد جغرافي، وإنما كيان معنوي وروحي يُرتبط به المواطن ويُضحي من أجله، ويفترض التضحية والنضال، وكذلك الحاجة إلى قيادة شعورية تنظّر المشروع القومي[21].

3- زكي الأرسوزي : من روّاد الحركة البعثية، وركّز في فكره على البُعد الثقافي واللغوي والروحي للوحدة، مع تأكيده على أن الوطن العربي يجب أن يُدار من داخل، بوعي قومي، وأن التنوع القُطري أو الطائفي لا يُعوّق وحدة الأمة إذا ما كانت النخب تسعى فعلاً إلى المشروع القومي[22].

باختصار، يمكن القول إن الدراسة بنيت على مفاهيم متداخلة: الوحدة العربية كمشروع ثقافي وتاريخي وسياسي، الأيديولوجيا كمكون فكري وقيمي يشكل رؤية الجامعة، و الفكر القومي والممارسة السياسية كمقياس لنجاح الأيديولوجيا في الواقع. التيارات الفكرية التي دعمت الوحدة مثل الحصري و عفلق و الأرسوزي لعبت أدوارا محورية في صوغ الطموح القومي، لكنها أيضًا أوضحت أن الأيديولوجيا وحدها لا تكفي، وأن التطبيق يفرض شروطًا واقعية غالبًا ما تصطدم بها الوحدة العربية.

المبحث الثاني : الدراسة التاريخية لفكرة الوحدة :

يُعدّ منتصف القرن العشرين المرحلة الأهم في مسار تطور فكرة الوحدة العربية، إذ تداخل فيها الفكر القومي مع التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي عقب الحرب العالمية الثانية. فالمشروع الوحدوي لم يكن مجرد خطابٍ ثقافي أو طموحٍ أيديولوجي، بل مثّل رؤيةً استراتيجية لإعادة بناء القوة العربية في مواجهة الاستعمار، وإحياء الانتماء القومي بعد قرونٍ من التمزق السياسي. غير أنّ تطوّر هذه الفكرة كان متذبذبًا بين الازدهار والانحسار، وبين الوعي الفكري والممارسة الواقعية. ومن خلال تحليل المراحل التاريخية الممتدة من بدايات القرن العشرين حتى عام 1970، يمكن تتبّع العوامل التي صاغت الفكر الوحدوي، وأثّرت في صعوده وانحساره، سواء كانت فكرية أو سياسية أو دولية[23].

اولا : نشأة فكرة الوحدة العربية وجذورها الفكرية قبل 1950 :

1-الجذور التاريخية و الفكرية في العهد العثماني و او ائل القرن العشرين

تعود جذور فكرة الوحدة العربية إلى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث بدأت النخب الثقافية والفكرية العربية تُدرك أهمية الهوية المشتركة كرد فعل على التهميش الثقافي والسياسي في ظل الإمبراطورية العثمانية. فعلى الرغم من كون العرب جزءًا من هذه الإمبراطورية لقرون، فإن السلطة العثمانية ركزت على الولاء للإمبراطورية على حساب الهوية العربية، مما أدى إلى غياب وعي قومي موحد[24]. وقد رأى مفكرون مثل ساطع الحصري أن الهوية العربية كانت حاضرة في الوعي الجمعي عبر الأدب والتعليم والممارسات الاجتماعية المحلية، حتى قبل أن تُصاغ كفكرة سياسية منظمة[25].

2-تأثير الاستعمار الأوروبي وتحولات ما بعد الحرب العالمية الأولى

شكّل انهيار الإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وتقسيم المنطقة عبر اتفاقية سايكس– بيكو عام 1916 منعطفا حاسما في تعزيز الشعور بالهوية العربية المشتركة. فقد جاءت القوى الاستعمارية الأوروبية، خاصة بريطانيا وفرنسا، لتقسيم المشرق العربي إلى دويلات وفق مصالحها، مما عمّق الشعور بالاستغلال والانقسام. وأظهرت أحداث كاحتلال فلسطين عام 1917 قدرة القوى الخارجية على تفكيك الكيانات العربية، وهو ما حفز النخب الفكرية للبحث عن مشروع وحدوي يستند إلى اللغة والتاريخ والثقافة المشتركة كخط دفاع وجودي[26].

3- دور الصحافة والأدب في نشر الفكر القومي

لعبت الصحافة والمجلات الأدبية دورًا محوريًا في بلورة الفكر القومي العربي ونشر فكرة الوحدة في مطلع القرن العشرين فقد كانت منابر مثل "المنار" و "العروة الوثقى" و "البلاغ" تُروج لأفكار النهضة العربية وتُعزز الوعي بالهوية المشتركة، كما تناولت نقد الهيمنة الاستعمارية ودعت إلى التضامن العربي, وقد ساهمت هذه المنشورات في تكوين قاعدة فكرية وشعبية مهيأة لتقبل المشروع القومي لاحقا[27].

4-رواد الفكر القومي و تأسيس الاسس النظرية

برز خلال هذه المرحلة عدد من المفكرين الذين وضعوا الأسس النظرية للقومية العربية:

1-ساطع الحصري : اعتبر أن الأمة العربية كيان ثقافي وروحي قائم على وحدة اللغة والتاريخ والعادات، مؤكدا أن اللغة العربية الفصحى هي الركيزة الأساسية للتماسك القومي، وأن القومية لا تقوم على العرق أو الدين بل على المشترك الحضاري[28] .

2-قسطنطين زريق : تناول في كتابه (معنى النكبة) إشكالية الوعي القومي، مشيرًا إلى أن غياب المؤسسات التعليمية والسياسية الفعالة حال دون بلورة وعي جمعي قادر على تحقيق الوحدة[29].

3- زكي الأرسوزي: شدد على البعد الثقافي والروحي للوحدة، معتبرا أن الحفاظ على اللغة والتراث هو أساس أي مشروع سياسي وحدوي[30].

4- ميشيل عفلق: أسس مع آخرين فكر حزب البعث، ورأى في الوحدة العربية هدفا ثوريا يتجاوز الحدود المصطنعة، مجسدا ذلك في شعار "وحدة، حرية، اشتراكية"[31].

5-التمهيد للمرحلة السياسية بعد الاستقلال :

شكّلت هذه المرحلة التأسيسية قاعدة فكرية متينة مهّدت لتحول فكرة الوحدة من حلم ثقافي إلى مشروع سياسي بعد استقلال العديد من الدول العربية في منتصف القرن العشرين. وقد تجسد هذا التحول في صعود قيادات قومية مثل جمال عبد الناصر، الذي اعتبر الوحدة العربية ضرورة استراتيجية للتحرر من التبعية والمواجهة مع التحديات الإقليمية، وهو ما حاول تحقيقه عمليًا عبر تجربة الجمهورية العربية المتحدة 1958-1961[32].

ثانيا : صعود الفكر القومي العربي بعد ثورة يوليو 1952

مثلت ثورة يوليو 1952 في مصر نقطة تحول محورية في التاريخ الحديث للعالم العربي، إذ لم تغيّر فقط نظام الحكم في مصر، بل أطلقت أيضًا مرحلة جديدة من الفكر القومي العربي الذي جمع بين الأيديولوجيا السياسية والوعي الجماهيري. فقد أسهمت الثورة في هدم النظام الملكي القديم الذي ارتبط بالهيمنة البريطانية، وأتاحت الفرصة أمام قيادة وطنية جديدة لتقديم مشروع سياسي متكامل يقوم على شعار الوحدة، الحرية، والاستقلال، إلى جانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت ضرورية لبناء الدولة الحديثة[33] .

تبنى جمال عبد الناصر فكرة أن الوحدة العربية ليست خيارا سياسيا فحسب، بل ضرورة استراتيجية لمواجهة الاستعمار، ولتحقيق التقدم والتنمية. فالرغبة في الوحدة كانت جزءًا لا يتجزأ من مشروعه السياسي الذي سعى إلى تجاوز الانقسامات القطرية التقليدية، وتعزيز التعاون بين الدول العربية على أساس المشترك الثقافي والتاريخي والسياسي. وقد أبرز عبد الناصر في خطاباته أهمية التضامن العربي في مواجهة المخاطر الخارجية، معتبراً أن تفكك العرب يمثل العائق الأساسي أمام بناء قوة إقليمية[34].

شهدت المدة ما بعد يوليو 1952 تلاقي الفكر الناصري والفكر البعثي في عدد من المبادئ الجوهرية، وإن اختلفت الممارسات. فقد دعا ميشيل عفلق وصلاح البيطار في سوريا إلى وحدة عربية شاملة تقوم على التحرر من الهيمنة الأجنبية والاشتراكية الاجتماعية، معتبرين أن الأمة العربية تمثل كيانا حضاريا ذا رسالة عالمية، وأن على الدول العربية أن تتجاوز حدودها الجغرافية لتحقيق هذا الهدف[35]. هذا التلاقي بين الفكر الناصري والبعثي ساعد على توحيد بعض الرؤى النظرية حول مشروع الوحدة العربية، على الرغم من اختلاف الزعامة والتطبيق السياسي بين البلدين.

لعبت الأحداث الإقليمية والدولية دورًا في تعزيز هذا المد القومي. فمثلاً، العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 شكّل لحظة فاصلة في تاريخ القومية العربية؛ إذ برز عبد الناصر كرمز للمقاومة ضد القوى الاستعمارية، مما عزز شعور الجماهير العربية بالوحدة والهوية المشتركة وأدت هذه الأحداث إلى زيادة الدعم الشعبي والإقليمي للفكر القومي، ودفعت بعض الدول العربية إلى التفكير في مشاريع اتحاد أو تعاون مشترك، وإن كانت بدرجات متفاوتة[36] .

علاوة على ذلك، كان الإعلام المصري والصحافة العربية محورًا رئيسيًا في تعزيز الفكر القومي، إذ بثّت أفكار الوحدة العربية والحرية الوطنية بشكل مستمر، مستخدمة الرموز الوطنية مثل النشيد العربي والمناسبات الوطنية لتقوية الانتماء العربي كما ساهمت الخطابات الرسمية لعبد الناصر في تعزيز الشعور بالقوة الجماعية، وإقناع النخب والمجتمعات العربية بأن الوحدة ليست مجرد حلم، بل مشروع يمكن تحقيقه من خلال الإرادة السياسية والوعي الشعبي [37] .لذا كانت المدة ما بعد ثورة 1952 حتى نهاية الخمسينيات ذروة صعود الفكر القومي العربي، حيث تداخلت الأيديولوجيا السياسية مع الممارسة العملية بشكل غير مسبوق. فقد أصبح الفكر القومي قوة محركة للسياسة الداخلية والخارجية لمصر، كما أسهم في إشعال الحماس الوحدوي في الدول العربية الأخرى، خاصة سوريا، التي بدأت ترى في القاهرة مركز إشعاع للفكر القومي والحلم بالوحدة[38]. وقد كانت هذه المرحلة إعدادًا ضروريًا لتجربة الجمهورية العربية المتحدة لاحقًا، التي حاولت تحويل الفكر القومي من مجرد شعارات إلى واقع سياسي ملموس على الأرض.

ثالثا: تجربة الجمهورية العربية المتحدة (1958–1961): الأسباب والنتائج

تُعدّ تجربة الجمهورية العربية المتحدة (1958–1961) أول محاولة عملية لتحقيق الوحدة العربية على مستوى الدولة، وكانت تتويجًا للفكر القومي الذي صاغته النخب الفكرية والسياسية منذ منتصف القرن العشرين، خاصة بعد صعود الفكر القومي العربي بعد ثورة يوليو 1952 في مصر. وقد جاء إعلان الجمهورية في شباط 1958 بين مصر وسوريا كنتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، وأبرزها التوترات السياسية في سوريا، والتنافس بين القوى الإقليمية، بالإضافة إلى الرغبة الشعبية في تجاوز الانقسامات القطرية[39] .

أ: الأسباب التي أدت إلى ولادة الجمهورية العربية المتحدة، واهمها :

1-الاسباب السياسية : كانت سوريا تعاني من عدم الاستقرار السياسي المزمن نتيجة الانقلابات العسكرية المتكررة، والصراع بين النخب السياسية، وتنامي الخوف من المدّ الشيوعي وتأثير الحزب السوري القومي الاجتماعي. وقد اعتبرت النخب السورية أن الاتحاد مع مصر سيعزز الأمن الداخلي ويضمن الاستقرار السياسي، ويخلق توازنًا ضد النفوذ الدولي والإقليمي[40].

2-الاسباب الاجتماعية : شهدت سوريا انتشارا واسعًا للفكر القومي العربي بين الشباب والطلاب والطبقة الوسطى، الذين رأوا في الوحدة العربية فرصة لتحرير الأمة العربية من الاستعمار الموروث، وتعزيز دور العرب في صياغة مستقبلهم. كما أن جماهير الشعب المصري كانت متحمسة لدعم الوحدة كجزء من مشروع عبد الناصر الوطني، وقد تضافرت القوى الشعبية لدفع النخب السياسية نحو تحقيق الوحدة[41].

3-الاسباب الأيديولوجية والفكرية: شكلت أيديولوجية القومية العربية الأساس الفكري للتجربة، حيث دمجت بين الفكر الناصري ووجهة نظر البعثيين السوريين من حيث أهمية الوحدة، والتحرر الوطني، والعدالة الاجتماعية، مع التركيز على قيم التضامن العربي والهوية الثقافية المشتركة. وقد لعبت كتابات ميشيل عفلق وزكي الأرسوزي دورا رئيسيًا في تأطير هذه الرؤية، مؤكدين أن الأمة العربية تتمتع بقدرة تاريخية على توحيد صفوفها وتحقيق مشروع سياسي جامع[42]. تم إعلان الجمهورية العربية المتحدة بضم مصر وسوريا تحت قيادة عبد الناصر رئيسًا، بينما شغل جمال سالم منصب نائب الرئيس، وقد اتخذ النظام شكلاً مركزيًا يدمج الهياكل الإدارية لكلا البلدين، مع محاولة توحيد المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والعسكرية, لكن التحديات التنظيمية كانت جسيمة[43].

كان اهم التحديات الاختلافات الاقتصادية والإدارية فقد تباينت قدرات مصر وسوريا في الاقتصاد المركزي، والموارد، والبنية التحتية، ما جعل تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي صعبًا للغاية, هذا بالإضافة الى التباين السياسي والثقافي فقد أبدت النخب السورية تحفظات على المركزية المصرية، معتبرة أن السيطرة القاهرة على القرار السياسي تقوض حقوق ومصالح سوريا، ما أثار مشكلات في تمثيل القوى السياسية المختلفة [44], يضاف الى ذلك ضغط القوى الإقليمية والدولية حيث تعرضت الجمهورية لضغوط من القوى الغربية والإقليمية، التي كانت تخشى من توحيد الدول العربية في كيان قوي قادر على تحدي النفوذ الأجنبي، ما أدى إلى محاولات زعزعة الاستقرار داخليا[45] .

ب: النتائج السياسية والعسكرية والأيديولوجية

على الرغم من التحديات، تركت تجربة الجمهورية العربية المتحدة أثرا عميقا على المشهد العربي:

1- سياسيا: أبرزت تجربة الوحدة أن الطموحات القومية، وإن كانت قوية، تواجه صعوبات ملموسة عند التداخل مع المصالح القطرية والنزاعات الداخلية، وأن السلطة المركزية تواجه صعوبات كبيرة في فرض التنفيذ المتساوي على جميع الأقطار المشاركة[46] .

2- عسكريًا: أظهرت الجمهورية الحاجة إلى التنسيق العسكري المشترك، وتوحيد الخطط الدفاعية، وهو ما لم يتحقق بالشكل الأمثل بسبب الاختلافات بين الجيشين المصري والسوري في التنظيم والتكتيكات[47].

3- أيديولوجيًا: رغم الانفصال النهائي لسوريا في سبتمبر 1961، بقيت الجمهورية رمزًا للحلم القومي العربي، ودليلاً على قدرة الفكر القومي على تعبئة الجماهير وتحقيق خطوات ملموسة نحو الوحدة، وإن كانت محدودة المدى[48].

ج: تحليل الفشل واسباب الانفصال

انفصلت سوريا عن الجمهورية في ايلول عام 1961 نتيجة مجموعة من العوامل المركبة:

1- غياب التوازن بين المركزية والخصوصية القطرية: المركزية المصرية فرضت سيطرة مطلقة على القرار السياسي والإداري، ما أثار رفض النخبة السورية[49].

2- الصراعات الداخلية: تزايد الانقسامات بين الجيش والقيادات السياسية السورية، وتزايد التوتر بين البعثيين والمجموعة الناصرية السورية[50] .

3- الضغوط الاقتصادية والاجتماعية: تفاوت مستويات التنمية بين البلدين جعل المشاريع المشتركة صعبة التنفيذ، مما أدى إلى شعور بالإحباط لدى السوريين[51].

4- العوامل الإقليمية والدولية: تدخل بعض القوى الإقليمية والغربية ساهم في زعزعة التجربة عبر دعم جماعات معارضة في سوريا[52].

يمكن القول إن تجربة الجمهورية العربية المتحدة، على الرغم من فشلها في الاستمرار، مثلت مرحلة محورية في تاريخ الفكر القومي العربي، إذ جمعت بين الطموح النظري والممارسة السياسية، وأظهرت الصعوبات الحقيقية في تحقيق الوحدة العربية في ظل التحديات المحلية والإقليمية والدولية.

رابعا : مشاريع الوحدة العربية الأخرى

لم تتوقف الطموحات القومية العربية بعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة , بل حاولت الدول العربية استثمار الروح الوحدوية التي أثارتها هذه التجربة عبر مشاريع متعددة للوحدة والتعاون العربي خلال عقد الستينيات. وقد شملت هذه المشاريع الاتحاد العربي بين العراق والأردن، الوحدة الثلاثية، ومحاولات سوريا والعراق لتحقيق اتفاقيات اتحاد، إضافةً إلى مشاريع أخرى أقل تأثيرًا لكنها تعكس استمرار الفكر القومي في المنطقة[53] .

1-الاتحاد العربي بين العراق و الاردن

في عام 1958، أُعلن عن مشروع الاتحاد العربي بين العراق والأردن بقيادة الملك فيصل الثاني والملك حسين، وكان الهدف من هذا الاتحاد هو خلق كيان سياسي قوي قادر على مواجهة التغيرات الإقليمية والمنافسة الناصرية في مصر وسوريا. إلا أن هذا الاتحاد لم يكن مشروعًا شعبيًا بالمعنى الكامل، إذ كان قائمًا أساسًا على النخبة السياسية، ولم يحصل على تأييد جماهيري واسع , وفي تموز 1958، أطاحت الثورة العراقية بالملك فيصل الثاني، مما أدى إلى انهيار المشروع قبل أن يُطبّق فعليًا، لكنه أظهر أن الأفكار القومية والوحدة لم تختفِ، وأنها كانت تُستخدم كأداة سياسية لتحقيق أهداف النخب الحاكمة[54].

2-الوحدة الثلاثية

بعد فشل الاتحاد العراقي الأردني، ظهر في أوائل الستينيات مشروع الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وقد كان الهدف منه توسيع نطاق الوحدة بعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة، وإيجاد توازن بين الدول الناصرية والبعثية. وقد برزت التحديات منذ البداية: اختلاف الأيديولوجيات بين قادة الدول، التنافس على قيادة المشروع القومي، ووجود مصالح اقتصادية وسياسية متباينة. ورغم الاجتماعات العديدة بين رؤساء الدول الثلاث، لم يتم التوصل إلى اتفاق سياسي ملموس، وعُرض المشروع في شكل شعارات رسمية واتفاقيات أولية فقط [55], كان من بين أسباب فشل الوحدة الثلاثية أيضًا الصراع بين القيادة المصرية بقيادة عبد الناصر والقيادات البعثية في دمشق وبغداد، حيث لم يتمكن أي طرف من التنازل عن المطالب الاستراتيجية الخاصة به، وهو ما أعاق تحقيق التعاون الكامل. ومع ذلك، فقد ساهم المشروع في إبقاء الفكر القومي حياً في أذهان الجماهير والنخب السياسية، وأعطى زخماً للنقاش حول أشكال التعاون المستقبلي بين الدول العربية[56] .

3-محاولات سوريا و العراق

على الرغم من الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، استمر الحوار بين دمشق وبغداد لتحقيق بعض أشكال التعاون السياسي والاقتصادي. وقد تضمنت هذه المحاولات مباحثات حول اتفاقيات اقتصادية مشتركة، تعاون عسكري محدود، وتنسيق سياسات خارجية لمواجهة النفوذ الإقليمي والدولي، لكنها غالبا ما اصطدمت بالعقبات الداخلية والصراعات على الزعامة. وكان التباين في نظم الحكم والسياسات الاقتصادية من أبرز أسباب عدم استمرارية أي مشروع، إذ لم توفر الظروف التنظيمية والبنية المؤسسية اللازمة لتطبيق أي اتفاقية بشكل فعال[57].

4-مشاريع الوحدة الاخرى

إضافة إلى المشاريع الكبرى، ظهرت أفكار ومقترحات أقل تنفيذا لكنها كانت تشير إلى استمرار الروح الوحدوية. ومن أبرز هذه المشاريع فكرة الاتحاد العربي الإفريقي بين مصر وليبيا والسودان في أواخر الستينيات، التي تهدف إلى تعزيز التعاون الاقتصادي والسياسي والثقافي بين هذه الدول. ورغم أنها لم تُحقق على أرض الواقع، فقد ساهمت في تعزيز فكرة التضامن العربي، وإبراز أهمية العمل المشترك بين الدول العربية والإفريقية لمواجهة تحديات الاستعمار السابق والنفوذ الدولي[58].

يمكن تفسير استمرار هذه المشاريع بعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة من خلال عدة عوامل:

1- استمرارية الفكر القومي العربي: فقد بقي الفكر الناصري والبعثي مصدر إلهام للحركات الشعبية والنخب الفكرية، وهو ما حافظ على حيوية فكرة الوحدة في الوعي العربي[59].

2- الضغط الدولي والإقليمي: واجهت الدول العربية تحديات متجددة من القوى الكبرى، مما دفعها للتفكير في التعاون كآلية لمواجهة النفوذ الخارجي[60].

3- الأزمات الداخلية: أدركت النخب العربية أن التعاون بين الدول يمكن أن يوفر حلاً جزئيًا لمشكلات اقتصادية وسياسية دون الحاجة إلى اتحاد كامل، وهو ما أسهم في استمرار مشاريع الوحدة الاقتصادية والثقافية حتى وإن فشلت سياسياً[61].

على الرغم من الفشل السياسي لهذه المشاريع، فإن أثرها الرمزي والثقافي كان كبيرا, فقد ساعدت على استمرار الخطاب القومي في الإعلام والسياسة والتعليم، وأبقت فكرة الوحدة حية في أذهان الجماهير العربية, كما ساهمت في تعزيز التواصل بين الدول العربية على المستوى الدبلوماسي والثقافي، مما مهد الطريق لاحقا لتشكيل تحالفات اقتصادية وسياسية أكثر واقعية، تعتمد على التضامن والتنسيق بدلاً من الاتحاد الكامل[62] .

المبحث الثالث : العوامل التي أدت إلى تراجع فكرة الوحدة بين عامي 1961–1970

شهد عقد الستينيات تحولًا تدريجيا في المشهد السياسي العربي، حيث بدأ المد القومي الوحدوي يفقد زخمه، وتحولت بعض الدول العربية من الطموحات الوحدة الكاملة إلى التركيز على التعاون والتنسيق الجزئي بين الدول، مع تبني مقاربات أكثر واقعية في إدارة المصالح القطرية. ويعود هذا التراجع إلى مزيج من العوامل الداخلية والخارجية، الاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى التحديات الأيديولوجية والفكرية التي كشفت تجربة الجمهورية العربية المتحدة والفشل النسبي للمشاريع الأخرى عن حدود إمكانية تحقيق الوحدة العربية[63] .

1- تراجع دور الجامعة العربية

بعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة (1958-1961) التي كانت تمثل أبرز محاولات الوحدة العربية السياسية، تراجع دور جامعة الدول العربية كمنظمة إقليمية فاعلة في تعزيز فكرة الوحدة. فقد شهدت السنوات التالية فشلًا كبيرًا في ترجمة الشعارات الوحدوية إلى ممارسات سياسية ملموسة. على الرغم من محاولات الجامعة في دعم التعاون بين الدول العربية، إلا أنها كانت تعاني من ضعف التنسيق بين الدول الأعضاء

بسبب الانقسامات السياسية والمصالح القطرية المتباينة. كما أن تدخل القوى الخارجية في الشؤون العربية كان يحد من فعالية قرارات الجامعة، ما جعلها أقل قدرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تعيق تحقيق الوحدة[64].

إضافة إلى ذلك، كانت الجامعة العربية تفتقر إلى آليات تنفيذ فعّالة للتعاون بين الدول، مما ساهم في إضعاف مشروع الوحدة العربية. وكانت التجزئة السياسية والصراعات الإقليمية تؤثر سلبًا في قدرة الجامعة على فرض أي نوع من التوحيد السياسي أو التنسيق المشترك في قضايا مثل الدفاع المشترك أو التعاون الاقتصادي. هذه التحديات جعلت جامعة الدول العربية تصبح مجرد إطار دبلوماسي شكلي، ولم تكن قادرة على تحقيق الأهداف السياسية الكبرى للوحدة العربية التي كانت تسعى إليها الأيديولوجيا القومية في تلك المدة [65].

2- دور العامل الخارجي في تعزيز الفجوة بين الفكر القومي والممارسة السياسية

كان للعامل الخارجي دور كبير في تعزيز الفجوة بين الفكر القومي والممارسة السياسية. ففي الوقت الذي كانت فيه الأيديولوجيا القومية تدعو للوحدة العربية، فرض الاستعمار الأوروبي حدودًا سياسية جديدة قسّمت المنطقة إلى دول مستقلة، مما عزز الهويات القُطرية على حساب الهوية القومية المشترك[66].بعد الاستقلال، استمرت القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في التدخل في الشؤون العربية، مما فاقم التوترات الداخلية وعزز الانقسامات القطرية، وأضعف مشاريع الوحدة[67].

من جهة أخرى، أدى الصراع مع إسرائيل إلى انشغال الدول العربية بالقضية الفلسطينية بدلًا من السعي لتحقيق الوحدة السياسية، مما عزز الفجوة بين الأنظمة العربية[68], إضافة إلى ذلك، كانت الجامعة العربية تعاني من ضعف التنسيق نتيجة لتدخلات القوى الكبرى والانقسامات الإقليمية، ما حال دون تحقيق الوحدة السياسية الفعلية[69].

3- الانقسامات السياسية الداخلية

أدت الصراعات بين الأنظمة العربية المختلفة إلى تراجع فكرة الوحدة. فقد اختلفت وجهات النظر حول طبيعة القيادة العربية ومكانتها، سواء في مصر أو سوريا أو العراق، مما أدى إلى فقدان الثقة المتبادلة. ففي مصر، كان عبد الناصر يُدافع عن وحدة مركزية قوية تحت القيادة المصرية، بينما كانت النخب السورية والعراقية تطالب باتحاد أكثر مرونة يحافظ على خصوصية الدولة ومؤسساتها[70] . هذا الصراع على الزعامة أدى إلى فشل أي محاولة لتوسيع نطاق الوحدة بعد تجربة الجمهورية العربية المتحدة، وأضعف القدرة على صياغة مشاريع فعالة لتحقيق التعاون السياسي المستدام.

4- الضغوط الدولية والإقليمية

كان التراجع الجزئي أيضًا نتيجة للضغوط الدولية والإقليمية المتزايدة، إذ حاولت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وكذلك القوى الإقليمية مثل إسرائيل وإيران، استغلال الانقسامات العربية لتحقيق مصالحها. فقد دعمت القوى الغربية بعض الانقلابات الداخلية في الدول العربية، وساهمت في إضعاف المشاريع الوحدوية من خلال خلق أزمات سياسية واقتصادية، مما أكسب الدول العربية تجربة مؤلمة حول صعوبة التوفيق بين الطموح القومي والمصالح الدولية , كما أدركت النخب العربية أن المشاريع الوحدة كانت تواجه تحديات تتعلق بموازين القوى الإقليمية، وأن فرض أي اتحاد بدون توافق دولي أو استعداد داخلي سيؤدي إلى الفشل[71].

5- الأزمات الاقتصادية والاجتماعية

شكلت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية سببا جوهريا في تراجع الوحدة. فقد كانت الموارد الاقتصادية غير متكافئة بين الدول، وواجهت بعض المشاريع الاقتصادية المشتركة تحديات في التنفيذ بسبب اختلاف السياسات التخطيطية ونظم الإنتاج, كما أن تفاوت مستويات التنمية والتعليم والبنية التحتية أضعف القدرة على تحقيق تكامل اقتصادي فعلي، وهو ما أثر بدوره على المشاريع السياسية المرتبطة بالوحدة. فقد أدركت الحكومات أن التعاون الاقتصادي الجزئي قد يكون أكثر واقعية من محاولة دمج شامل، خاصة بعد الفشل السياسي والتحديات الداخلية [72] .

6- التراجع الشعبي والحماسة الجماهيرية

بدأت جماهير الدول العربية تفقد جزءًا من الحماس الذي رافق الصعود القومي في خمسينيات القرن العشرين. فبعد الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة وفشل مشاريع الوحدة الأخرى، شهدت المنطقة شعورًا بالإحباط من الإمكانات المحدودة لتحقيق الوحدة السياسية الفعلية. وقد أشار قسطنطين زريق إلى أن هزيمة 1967 كانت بمثابة "نكسة الوعي القومي"، إذ كشفت عن العجز الواقعي للشعارات القومية أمام الحقائق السياسية والعسكرية[73].

7- النكسات العسكرية و أثرها على الفكرة القومية

شكلت نكسة 1967 علامة فاصلة في تراجع المد القومي، إذ أبرزت النكسات العسكرية محدودية القوة العربية الموحَّدة، وفتحت المجال أمام مراجعات نقدية للنهج الوحدوي الشمولي. فقد أظهرت الهزيمة أن الخطط العسكرية والتنسيق بين الدول العربية كان ضعيفًا، وأن التحديات الإقليمية تتطلب مقاربة أكثر واقعية تعتمد على الدفاع المشترك والتعاون الاستراتيجي بدلاً من طموحات الوحدة السياسية الكاملة[74].

8- التحديات الأيديولوجية والفكرية

أدت الاختلافات الأيديولوجية بين القوميين العرب إلى صعوبة تحقيق الوحدة المستدامة. ففي حين تمسكت مصر بقيادة عبد الناصر على أساس الفكر الناصري الاشتراكي القومي، تبنى البعثيون السوريون والعراقيون

خططًا قومية متعددة تركز على التعددية السياسية والاشتراكية بطريقة مختلفة، ما أدى إلى تصادم الأهداف الاستراتيجية والفكرية كما أظهر الصراع على قيادة المشروع القومي أن الأيديولوجيا وحدها غير كافية لضمان نجاح الوحدة، إذ يلزم وجود توافق سياسي ومؤسسي حقيقي.[75]

في ضوء هذه العوامل، يمكن القول إن الفترة الممتدة بين عامي 1961 -1970 شهدت تحولًا بنيويا في مسار الفكر القومي العربي، حيث انتقل من كونه مشروعًا سياسيًا عمليًا يسعى إلى تحقيق الوحدة الشاملة، إلى أيديولوجيا ذات طابع ثقافي ورمزي. فقد أسهم الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، ثم جاءت هزيمة عام 1967، في تقويض الثقة بإمكانية تحقيق الوحدة السياسية في المدى المنظور، وأدّت إلى بروز نزعة واقعية لدى الأنظمة العربية دفعتها إلى التركيز على صيغ التعاون الجزئي والتنسيق الاقتصادي والدبلوماسي، بدل السعي إلى الاندماج السياسي الكامل[76]. وفي هذا السياق، احتفظ الخطاب القومي العربي بحضوره بوصفه إطارا مرجعيًا للهوية المشتركة وأداة للتعبئة الرمزية، غير أنه انفصل تدريجيًا عن الممارسة السياسية الفعلية، نتيجة غياب الإرادة المؤسسية، وضعف الأطر التنظيمية العربية القادرة على تحويل الشعارات الوحدوية إلى سياسات ملزمة. وقد أدى هذا التحول إلى إعادة تعريف القومية العربية بوصفها مشروعا ثقافيا جامعا أكثر منها برنامجًا سياسيًا قابلًا للتطبيق [77] .

كما أسهمت هذه التجربة في إدراك القادة العرب حدود القدرة الواقعية على توحيد الأمة في ظل التباينات القطرية، وتضارب المصالح الوطنية، والضغوط الإقليمية والدولية المتزايدة، وهو ما أكد أن نجاح أي مشروع وحدوي لا يمكن أن يتحقق بالاعتماد على الطموحات الأيديولوجية وحدها، بل يتطلب بناء مؤسسات عربية فاعلة، وتوافر توافق سياسي وشعبي وإقليمي، وآليات تنفيذ قادرة على ضمان الاستمرارية والتكيّف مع التحولات السياسية[78] .

الخاتمة :

خلصت الدراسة إلى أن فكرة الوحدة العربية، التي ارتبطت بالأيديولوجيا القومية، شهدت تطورات متباينة بين منتصف القرن العشرين وحتى عام 1970، تراوحت بين الطموح النظري والواقع السياسي العملي. فقد أظهرت الدراسة أن نشأة الفكر القومي العربي قبل خمسينيات القرن العشرين أسست قاعدة فكرية وثقافية متينة، إذ سعت النخب الفكرية إلى بناء رؤية تقوم على الهوية المشتركة واللغة والتاريخ كأساس لأي مشروع وحدوي، وهو ما مهد لاحقًا لصعود المشروع القومي على المستوى السياسي.

أوضحت الدراسة أن صعود الفكر القومي بعد ثورة يوليو 1952 تجسّد في تفاعل الأيديولوجيا مع الممارسة السياسية، حيث تحول الفكر الناصري إلى مشروع عملي يسعى لتحقيق الوحدة العربية عبر التنمية السياسية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية. كما ساهمت التوجهات الفكرية الأخرى، مثل البعثيين السوريين، في توسيع

أفق الفكر القومي، مؤكدين على البُعد التحرري والاجتماعي للوحدة العربية، وهو ما أوجد حالة من الحماس الشعبي والنخبوي لدعم المشروع الوحدوي.

وقد مثلت تجربة الجمهورية العربية المتحدة 1958–1961 أول تجسيد عملي للوحدة العربية، لكنها واجهت تحديات هيكلية وسياسية عديدة، بما في ذلك التباين بين المركزية المصرية وخصوصية الأقطار الأخرى، والاختلافات الاقتصادية والإدارية، بالإضافة إلى الضغوط الإقليمية والدولية. ورغم الفشل السياسي، فقد بقيت التجربة رمزًا للأمل القومي وأكدت قدرة الفكر القومي على تعبئة الجماهير وتحفيز المشاريع الوحدوية اللاحقة .

كما بينت الدراسة أن المشاريع الأخرى للوحدة العربية خلال الستينيات، مثل الاتحاد بين بعض الدول العربية والمحاولات الاقتصادية والسياسية المشتركة، لم تحقق الوحدة الفعلية لكنها حافظت على روح التعاون والتضامن بين الدول العربية، وأبقت الخطاب القومي حيًا في المجتمعات والنخب السياسية، حتى في ظل الفشل السياسي المتكرر.

وأخيرًا، أبرزت الدراسة أن تراجع فكرة الوحدة بين عامي 1961 -1970 كان نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى الاختلافات الأيديولوجية بين الدول العربية والقيادات السياسية، وكذلك التحديات العسكرية والإقليمية والدولية. وقد أدى هذا التراجع إلى تحول الفكر القومي من مشروع سياسي عملي إلى أيديولوجيا ثقافية ورمزية، تركز على التضامن والتنسيق الجزئي بدلاً من الوحدة الكاملة.

في ضوء ذلك، يمكن القول إن تجربة الوحدة العربية في هذه الفترة مثلت مرحلة محورية في تاريخ الفكر القومي العربي، إذ أظهرت الإمكانيات والطموحات الحقيقية للمشروع الوحدوي، وفي الوقت نفسه كشفت حدود الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يوجهه العرب. كما تركت هذه التجربة أثرا طويل الأمد على الوعي العربي، وأسهمت في تشكيل قاعدة تاريخية لفهم التحديات المستمرة للوحدة العربية ومستقبل التعاون العربي المشترك.

النتائج:

1- اسس الفكر القومي العربي :اظهرت الدراسة أن جذور الفكر القومي العربي قبل خمسينيات القرن العشرين كانت أساسًا فكريًا وثقافيًا مهمًا، إذ ركزت النخب الفكرية على اللغة والتاريخ والهوية المشتركة كأساس لأي مشروع وحدوي.

2- تفاعل الأيديولوجيا مع الممارسة السياسية: بعد ثورة يوليو 1952، أصبح الفكر القومي قوة سياسية حقيقية، وتم دمجه مع برامج التنمية والإصلاح الاجتماعي، ما أتاح التعبئة الجماهيرية ودعم المشاريع القومية على المستوى الإقليمي.

3- تجربة الجمهورية العربية المتحدة: مثلت هذه التجربة أول تطبيق عملي للوحدة العربية، لكنها فشلت بسبب التباين بين المركزية والخصوصية القطرية، والاختلافات الاقتصادية والإدارية، بالإضافة إلى الضغوط الدولية والإقليمية، ما أبرز الصعوبات الواقعية أمام مشاريع الوحدة السياسية الشاملة.

4- المشاريع الأخرى للوحدة العربية: مشاريع الاتحاد الثلاثي ومحاولات التعاون بين الدول العربية الأخرى فشلت سياسيا لكنها حافظت على روح التضامن والتعاون، وأبقت الخطاب القومي حيًا على المستويين الشعبي والنخبوي.

5- تراجع فكرة الوحدة بين عامي 1961–1970: تركزت العوامل في الانقسامات السياسية الداخلية، الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، الاختلافات الأيديولوجية، الفشل العسكري، والضغوط الدولية والإقليمية، مما أدى إلى تحول الفكر القومي من مشروع سياسي عملي إلى أيديولوجيا رمزية وثقافية.

التوصيات:

1- تعزيز البحث الأكاديمي التاريخي: تشجيع الدراسات المقارنة بين تجارب الوحدة العربية المختلفة لفهم الأسباب الداخلية والخارجية لفشل المشاريع الوحدوية.

2- تطوير المناهج التعليمية: تضمين تاريخ الفكر القومي العربي وتجارب الوحدة في المناهج الأكاديمية لتوعية الأجيال العربية بتاريخ مشاريع الوحدة وأبعادها الفكرية والسياسية.

3- تشجيع التعاون الثقافي والإعلامي: دعم المبادرات التي تعزز الهوية العربية المشتركة، مثل برامج تبادل ثقافي وإعلامي بين الدول العربية، لتعزيز الوعي بالقيم المشتركة دون فرض الوحدة السياسية المباشرة.

4- تعلم دروس التجارب السابقة : التركيز على التعاون الجزئي والاقتصادي والدبلوماسي كخطوة واقعية قبل السعي لأي مشاريع سياسية واسعة، مع مراعاة خصوصية كل دولة وأبعاد القيادة المحلية.

5- تقييم الأيديولوجيا مقابل الواقع: ضرورة دراسة العلاقة بين الأيديولوجيا والطموح السياسي، وإدراك أن نجاح أي مشروع وحدوي يتطلب توافقًا شعبيًا وإقليميًا، إلى جانب مؤسسات قوية وآليات تنفيذ فعالة.

الهوامش

[1] ساطع الحصري , الوعي القومي العربي , مطبعة الجامعة , بيروت , 1950 , ص 33 .

2 Maher Charif ,The Arab Nation and Its ideologies, libarairie du liban, Beirut ,2000,p 204-205.

[3] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 45-50 .

[4] ميشيل عفلق , القومية العربية رؤية شاملة , دار الفكر العربي , دمشق , 1955 , ص 10-20 .

[5] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 33-35 .

6 Maher Charif, op.cit., p 204-205 .

[7] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 60 -65 .

8 Adeed Dawisha, Arab Nationalism in the Twentieth Century, Princeton University press From Triumph to Despair , 2003 , p 49-74

[9] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 11-19 .

[10] المصدر نفسه , ص 15-18 .

[11] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 50 – 60 .

12 Albert Hourani , A History of the Arab Peoples , Faber and Faber , London.1970 , p 320 – 330 .

13 Adeed Dawisha , op .cit., p 35 -40.

[14] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 60-66 .

[15] عبد الرحمن البزاز , هذه قوميتنا ,دار القلم , القاهرة , 1964 , ص 399- 405.

16 Adeed Dawisha , op .cit., p 80 -85.

[17] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 157 – 160 .

[18] عواطف سعيد امحمد علي , الفكر القومي العربي لدى ساطع الحصري , مجلة جامعة سبها للعلوم الانسانية , المجلد 20 , العدد 1 , 2021 , ص 153-157 .

[19] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 15-19 .

[20] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 157 – 165 .؛ عواطف سعيد امحمد علي , المصدر السابق , 153-154 .

[21] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 11-19 .

22 Albert Hourani, , op .cit., p320-330.

23 Adeed Dawisha , op .cit., p21-24.

[24] شاكر النابلسي , الفكر العربي في القرن العشرين , دار الفارس للنشر , عمان , 2001 , ج 1 , ص 23 .

[25] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 45 – 50 .

26 Maher Charif, op .cit., p 204-207.

27 Albert Hourani, , op .cit., p112-115.

[28] ساطع الحصري , المصدر السابق , ص 35 -40 .

[29] قسطنطين زريق , معنى النكبة , دار العلم للملايين , بيروت , 1968 , ص 22-27 .

[30] زكي الارسوزي , مبادئ القومية العربية , مطبعة الجمهورية , دمشق , 1943 , ص11-15 .

[31] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 10 -20 .

[32] جمال عبد الناصر , في سبيل الوحدة العربية , دار التحرير , القاهرة , 1962 , ص 18- 22 .

[33] حسين مؤنس , مصر ورسالتها القومية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1976 , ص112-120.

[34] جمال عبد الناصر , المصدر السابق , ص 18-22 .

[35] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 30 – 33 .

36 Adeed Dawisha , op .cit., p57-60.

37 Albert Hourani, , op .cit., p115-120.

38 Adeed Dawisha , op .cit., p60-65.

[39] محمد حسنين , تجربة الوحدة العربية الجمهورية العربية المتحدة 1958 – 1961 , دار النهضة العربية , القاهرة , 1985 , ص 112-115.

40 Adeed Dawisha , op .cit., p85-88.

[41] جمال عبد الناصر , المصدر السابق , ص 18 – 22 .

42 Albert Hourani, , op .cit., p320-330.

43 Adeed Dawisha , op .cit., p86-90

[44] حسين عبد العظيم , التحديات الاقتصادية و السياسية للوحدة العربية , دار المعارف , القاهرة , 1998 , ص 150 -153 .

45 Peter Wien , Arab Nationalism and Politics in the Middle East , Routledge ,New York ,2017, p102-106.

[46] محمد حسنين ,المصدر السابق , ص 120 – 125 .

47 Adeed Dawisha , op .cit., p90-93.

[48] جمال عبد الناصر , المصدر السابق , ص 77 – 79 .

49 Adeed Dawisha , op .cit., p92-95.

[50] محمد حسنين ,المصدر السابق , ص 128 – 132 .

[51] حسين عبد العظيم , المصدر السابق , ص 155- 159 .

52 Peter Wien, op .cit., p105-108.

53 Ibid.,p.98-101.

[54] محمد حسني , الاتحادات العربية و الفشل السياسي , المركز العربي للأبحاث , بيروت , 1992 , ص 134 – 137 .

55 Adeed Dawisha , op .cit., p100-105.

56 Albert Hourani, , op .cit., p335-340.

57 Adeed Dawisha , op .cit., p110-115.

[58] حسين عبد العظيم , المصدر السابق , ص 175 -179 .

[59] ميشيل عفلق , المصدر السابق , ص 33- 36 .

60 Peter Wien, op .cit., p105-112.

61 Adeed Dawisha , op .cit., p115-120.

62 Maher Charif, op .cit., p 210-215.

63 Adeed Dawisha , op .cit., p200-205.

[64] احمد يوسف احمد , النظام العربي قضاياه وتحدياته , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1983 , ص 120 -125 .

[65] علاء الدين هلال , النظام الاقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربية , مكتبة النهضة العربية , 2005 , ص 85-95 .

66 Maher Charif, op .cit., p 204-207.

67 Adeed Dawisha , op .cit., p35-40.

68 Albert Hourani, , op .cit., p112-115.

69 Maher Charif, op .cit., p 204-207.

[70] محمد حسنين ,المصدر السابق , ص 142 – 145 .

71 Peter Wien, op .cit., p115-118.

[72] حسين عبد العظيم , المصدر السابق , ص 175 -179 .

[73] قسطنطين زريق , المصدر السابق , ص 32 -35 .

74 Adeed Dawisha , op .cit., p205-210.

[75] ساطع الحصري , حول القومية العربية , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1985, ص 140 – 150 .؛ محمد عابد الجابري , مسالة الهوية العروبة والاسلام والغرب , مركز دراسات الوحدة العربية , 1995 , ص 95- 105.

76 Adeed Dawisha , op .cit., p210-215.

77 Maher Charif, op .cit., p 204-207.

78 Albert Hourani, , op .cit., p112-115.

قائمة المصادر:

اولا : المصادر العربية :

1- احمد يوسف احمد , النظام العربي قضاياه وتحدياته , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1983.

2- جمال عبد الناصر , في سبيل الوحدة العربية , دار التحرير , القاهرة , 1962 .

3- حسين عبد العظيم , التحديات الاقتصادية و السياسية للوحدة العربية , دار المعارف , القاهرة , 1998.

4- حسين مؤنس , مصر ورسالتها القومية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , 1976.

5- زكي الارسوزي , مبادئ القومية العربية , مطبعة الجمهورية , دمشق , 1943.

6- ساطع الحصري , الوعي القومي العربي , مطبعة الجامعة , بيروت , 1950.

7- ساطع الحصري , حول القومية العربية , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , 1985.

8- شاكر النابلسي , الفكر العربي في القرن العشرين , دار الفارس للنشر , عمان , 2001 , ج 1 .

9- عبد الرحمن البزاز , هذه قوميتنا ,دار القلم , القاهرة , 1964.

10- علاء الدين هلال , النظام الاقليمي العربي دراسة في العلاقات السياسية العربية , مكتبة النهضة العربية , 2005.

11- عواطف سعيد امحمد علي , الفكر القومي العربي لدى ساطع الحصري , مجلة جامعة سبها للعلوم الانسانية , المجلد 20 , العدد 1 , 2021 .

12- قسطنطين زريق , معنى النكبة , دار العلم للملايين , بيروت , 1968.

13- محمد حسني , الاتحادات العربية و الفشل السياسي , المركز العربي للأبحاث , بيروت , 1992.

14- محمد حسنين , تجربة الوحدة العربية الجمهورية العربية المتحدة 1958 – 1961 , دار النهضة العربية , القاهرة , 1985.

15- محمد عابد الجابري , مسالة الهوية العروبة والاسلام والغرب , مركز دراسات الوحدة العربية , 1995.

16- ميشيل عفلق , القومية العربية رؤية شاملة , دار الفكر العربي , دمشق , 1955.

ثانيا : المصادر الاجنبية :

1- Adeed Dawisha, Arab Nationalism in the Twentieth Century, Princeton University press From Triumph to Despair , 2003.

2-Albert Hourani , A History of the Arab Peoples , Faber and Faber , London.1970.

3- Maher Charif ,The Arab Nation and Its ideologies, libarairie du liban, Beirut ,2000.

4- Peter Wien , Arab Nationalism and Politics in the Middle East , Routledge ,New York ,2017.